التنورة الأسكتلندية ثقافة شعب في قماش

حسن محمد النعمي

في شمال بيرويك بالمملكة المتحدة، تقام كل عام ألعاب هايلاند التي تجمع بين المنافسات الرياضية وبين الرقص على أنغام المزمار. المشاركون يأتون إليها وهم يرتدون لباس الترتان المميز، وهو لباس اسكتلندي أصيل، تطور مع مرور الزمن فتنوعت ألوانه واختلفت اشكاله.

من المعروف أن التنورة الاسكتلندية الأكثر شهرة على الإطلاق، ولا زالت تمثل جزءًا من الهوية والثقافة الاسكتلندية، وتحضر في كل المناسبات حتى اليوم. والترتان نوع من القماش الصوفي الطويل الذي ابتدعه الأسكتلنديون. يشتمل تصميم الترتان على خطوط ذات عرض متنوع وذات ألوان مختلفة. تتقاطع الخطوط وفقًا لزوايا قائمة على خلفية من الألوان الثابتة. وللقبائل الأسكتلندية، وبالذات تلك التي تعيش في المرتفعات، أزياؤها المصنوعة من نوع خاص من الترتان، كما أن كتائب الجيش تستخدم الترتان أيضًا. أصبحت كلمة الترتان في الولايات المتحدة تشمل، الأقمشة والملابس المصنوعة وفقًا لتصميمات الترتان.

والقماش الذي يُصنع منه الترتان يكون عادة من الصوف. وكل تصميم من تصميمات الترتان يسمى "السيت"، ويمكن أن يختلف شكل "السيت" باختلاف الاستعمال المنشود. غير أن النِّسب بين الخطوط يجب أن تظل ثابتة مهما بلغت درجة الاختلاف في حجم "السيت". يمكن أن تختلف ظلال ألوان "السيت" من اللون الباهت إلى الغامق.

ويختلف الترتان من عشيرة إلى أخرى في البلاد البريطانية وأعني بذلك في (أسكتلندا وإنجلترا وبلاد الغال)، وحتى إيرلندا لهذا فإن الرسومات والألوان قد تختلف من منطقة إلى أخرى ومن قبيلة إلى قبيلة.

يرتدي سكان المرتفعات في أسكتلندا الترتان والكلتية؛ وهو لباس يشبه التنورة، ويمتد إلى مستوى الركبة، ويمكن أن تضاف قطعة على الكتف الأيسر تُعرف بالبليد، والبليد هو الدثار، ويتم تثبيتها بمشبك على الكتف. أما الأجزاء الأخرى المكونة لهذا الزي فتشتمل على حقيبة خاصة تتدلى على الجزء الأمامي من الترتان، كما تشمل نوعًا من الدوبليت (الجاكيت) قد ترافقها قلنسوة. ويمكن أن تكون الجوارب من طابع الترتان نفسه، كما يجب أن تكون الأحذية ذات كعب منخفض. وفي بعض الحالات تستعمل بنطلونات تسمى تروز بدلاً عن الكِلتية. وهذه تستعملها كتائب الجيش في منخفضات أسكتلندا.

ويرجع لبس الملابس ذات المربعات المطرزة إلى عهود قديمة؛ فالأيرلنديون، والبريطانيون، والكاليدونيون الذين كانوا يسكنون في أسكتلندا، والسلتيون في أوروبا ـ كلهم كانوا يستخدمون هذه الملابس.

وأول إشارة للترتان في الأدب الأسكتلندي كانت في القرن الثالث عشر الميلادي. وفي الأصل ارتبط الترتان بالأقاليم في أسكتلندا، لكنه استعمل فيما بعد ليميز العشيرة أو الأسرة الرئيسية في منطقة بعينها. ويُستعمل مزيد من الخطوط الإضافية في بعض أنواع تصميمات الترتان ليمكن التعرف على رتبة من يرتديه.

كان الكلتية والبليد أجزاء من قطعة واحدة كبيرة في قماش الترتان، يقوم من يرتديها بلفها وتجميعها حول الخصر، مستعملاً حزامًا من أجل ذلك، بينما يلقي ببقية الرداء على الكتف ويثبِّته بدبوس. وعندما يكون الطقس سيئًا يلبسونه فوق الرأس والكتفين. وعندما ينامون في العراء فإنهم يستعملونه دثارًا.

الترتان الأسرة المالكة البريطانية ويُطلق عليه الاستيوارت الملكي. الاستيوارتيون؛ أي الأسرة المالكة الأسكتلندية حكمت منذ عام 1371م حتى 1714م، وحكمت الأسرة المالكة البريطانية منذ 1603 حتى 1714م وكلتاهما تَعْتَبر أن الترتان يخصُّها وحدها. الرداء الاستيوارتي، والترتان الصيد الاستيوارتي ذوو صلة بالأسرة أيضًا.

وهناك الآن نوع أصغر من الكلتية اسمه فليج يتم لبسه منفصلاً عن البليد.

بعد تمرد اليعقوبيين عام 1745م، قام البرلمان البريطاني بحظر الترتان واستعمال أزياء سكان المرتفعات حتى عام 1782م. ولقد فُقدت بعض أنواع "السيت" القديمة، غير أن أنواعًا جديدة خاصة قد ابتُدعت في نحو عام 1820م، عندما أيقظت كتابات الكاتب الأسكتلندي السير والتر سكوت الرغبة في تقاليد المرتفعات.

وفي الوقت الحاضر أصبح الترتان زيًّا شعبيًّا محبوبًا في بعض أنحاء العالم، وبالذات في الولايات المتحدة، حيث إن عددًا كبيرًا من الناس ينتمون إلى أصول أسكتلندية. وليست هناك قواعد صارمة لاستعمال الترتان، لكننا نجد أن من يرتدونه يجدون ارتباطًا بينه وبين الأسماء التي يحملونها، والجذور التي ينتمون إليها.